

2012

حديث ذاق طعم الايمان

د. عبد الله حسن الحديثي
كلية الاداب الجامعة العراقية

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad>



Part of the [Islamic Studies Commons](#)

Recommended Citation

"حديث ذاق طعم الايمان" (2012) د. عبد الله حسن الحديثي, *Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal*: Vol. 2 : Iss. 1 , Article 11.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol2/iss1/11>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

حديث ذاق طهر الإيمان

د. عبد الله حسن الحديثي

كلية الآداب - الجامعة العراقية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان على الظالمين .
وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد وعلى اله و اصحابه ومن دعا
بدعوته الى يوم الدين .

وبعد :

ان نعم الله تعالى على الانسان كثيرة جدا فأينما نظر الانسان فثم
نعمة من نعمه تعالى ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ وإذا ما اردنا
ترتيب هذه النعم حسب اهميتها فإن الايمان هو اعلاها واعظمها وما ذاك الا
لان اكرم شيء على وجه الارض هو الانسان واشرف ما في الانسان قلبه
واشرف ما في القلب الايمان بالله عز وجل فلذلك كان القلب محل نظر الله
﴿ يَمْنُونُ عَلَيْكَ أَنْ اسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ اسْلَمُوا بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) .

ولكن الايمان ليس كما يتصوره اكثر الناس من انه مجرد كلمة يقولها
الشخص بلسانه او معتقد يعتقد به بجنانه، كلا فالايمان الصحيح ليس كذلك انما
هو عقيدة تملأ القلب فيصدر عنها اثرها كما يصدر عن الورد شذاه وكما
تصدر عن الشمس اشعتها ولكي يكون المؤمن صادقا في دعوى الايمان فلا
بد ان يعرف حقيقته وقيمته ولكي يعرف حقيقة وقيمة الايمان فلا بد ان يحيي
ويعيش حياة الايمان التي دعانا الله اليها ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٢) .

(١) سورة الحجرات اية ١٧ .

(٢) سورة الانفال اية ٢٤ .

وكذلك لابد لنا ان نذوق حلاوة الايمان وطعمه الذين اخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام بهما . لقد حدد لنا رسول الله ﷺ الطريق الموصل الى طعم الايمان (ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا) .

فالرضا اذن هو الطريق الموصل الى طعم الايمان، فلا بد للمؤمن الذي يريد الوصول الى حقيقة الايمان ان يقف عند مقام الرضا الذي هو جزء من حقيقة الايمان الكامل الذي نريد ان نحققه في نفوسنا .

فلقد جاء في الاثر ان النبي ﷺ سأل طائفة من الصحابة رضي الله عنهم فقال (ما انتم؟) فقالوا مؤمنون، فقال وما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرضا ونرضى بمواقع القضاء فقال: مؤمنون ورب الكعبة او في رواية اخرى حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكون انبياء . ولا بد للداعية ان يتربى على الرضا وهو يعد نفسه لحمل اعباء الدعوة الى الله تعالى لان الدعوة تحتاج الى رجال متربين تربية كاملة وحقيقة وهم يحملونها ويبلغونها الى الناس كافة ولا سيما في هذه المرحلة التي تكالب اعداء الاسلام في محاربة ومحاولة القضاء على الاسلام . وفي وقت اصبح المجتمع الذي نعيش فيه معا مجتمعا ماديا بكل ما تحتويه كلمة المادة من معاني فكل شيء يقاس بمقياس المادة ولا مجال لوجود القيم الاخلاقية والروحية فيه وهذا من ابرز الاهداف التي يسعى اعداء الاسلام الى تحقيقها وفي مقدمتهم اليهود .

فالداعية وهو يعمل في مثل هذا المحيط يجدان كل هم الناس واهتماماتهم هي المادة فقط ومما يزيد وطأة هذه الحالة ان يجد الداعية ان بعض اخوانه المؤمنين الذي من المفترض ان يكونوا له اليد المعينة في حمل الدعوة يجدهم قد اصبحوا معوقين وقد الهتهم المادة الصماء وبسبب هذه العوامل مجتمعة فأنا نجد أن بعض الدعاة يصابون بنوع من الفتور

حديث ذاق الإيمان

والضعف وقد يصل بهم الى التلف والاضطراب فكان لابد من ترسيخ مفهوم
الرضا في نفوس الدعاة ابتداء حتى يصبح سجية من سجاياها .
كل هذه الاسباب واسبابا اخرى جعلتني اكتب هذا البحث لاضعه بين
يادي اخواني الدعاة سائلا الله عز وجل ان ينفعني واياهم به وارجو منهم ان
يبصروني بمواضع الخلل التي يرونها في هذا البحث فرحم الله امرأ اهدى
الي عيوبي والمؤمن مرآة اخيه .
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله واصحابه اجمعين .

حديث ذاق الإيمان

وقال ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾^(١) .
 وقال ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢) .

وقال ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾^(٣) .

فإن هذه الحياة التي يحيها المؤمن لابد ان يكون لها طعم ومذاق خاص يشعر به المؤمن حيث انه يتلذذ بالطاعات ويتحمل المشاق في رضي الله ورسوله وايتار ذلك على عرض الدنيا، وكذلك محبة المؤمن لله سبحانه وتعالى بفعل طاعته وترك مخالفته ومحبة رسوله السلام عليه .

قال القاضي عياض رحمه الله^(٤)، تعالى حديث (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الدنيا الايمان)^(٥)، بمعنى حديث (ذاق طعم الايمان) وذلك انه لاتصح محبة الله تعالى ورسوله حقيقة وحب الآدمي في الله ورسوله ﷺ وكراهية الرجوع في الكفر الا لمن قوي بالايمان يقينه واطمأنت به نفسه وانشرح له صدره وخالط لحمه ودمه وهذا هو الذي وجد حلاوة الايمان^(٦) .

(١) سورة الفتح اية ٤ .

(٢) سورة الانعام اية ٨٢ .

(٣) سورة النحل اية ٩٧ .

(٤) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشير التميمي ثم البربوعي خراساني وهو امام فقيه محدث زاهد توفي سنة ١٨٧هـ انظر حلية الاولياء (٨/٤٠-٤١) طبقات الشعراني

(٥) (١/٧٦-٨٠) طبقات الصوفية ص ٦-٨ .

(٥) مسلم بشرح النووي ٢/٢ .

(٦) شرح النووي عن مسلم ٢/٢، وتحفة الاحوذى على سنن الترمذي ٣٧٣/٧ .

فهذا انطلاق ذاتي في نفس المؤمن يريد ان يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه يراها ممثلة في واقع الحياة والناس . والخصومة بين المؤمن وبين الحياة الجاهلية من حوله خصومة ذاتية ناشئة من عدم استطاعته حياة مزدوجة بين تصوره الايماني وواقعه العملي، وعدم استطاعته كذلك التنازل عن التصور الايماني الكامل الجميل المستقيم في سبيل واقعه العملي الناقص الشائن المنحرف، فلا بد من حرب بينه وبين الجاهلية من حوله حتى تنتهي هذه الجاهلية الى التصور الايماني والحياة الايمانية^(١) .

(^١) في ظلال القرآن الكريم م ٥٣٩/٧، ٥٤٠ تفسير اية (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) سورة الحجرات .

المبحث الثاني تعريف الرضا

تعريف الرضا لغة:

الرضا: مصدر رضيت، يقال رضيت عنه رضيت به، ورضيت عليه بمعنى مرضي وقد قيل مرضو به على الأصل وارضيته عني ورضيت بالتشديد، أو اعملت في ارضائه بجهد واسترضيته فأرضاني اذا طلبت منه الرضا فوافقتني .

وعلى هذه الواجهة كلها يكون الرضا الموافقة والقبول للامر بسهولة من غير تكلف^(١) .

تعريف الرضا اصطلاحاً:

اختلفت اقوال العلماء في التعبير عن الرضا ونلاحظ ان اغلبها قد ركز على التسليم للقضاء والقدر وهذا هو جزء من الرضا وليس كل الرضا . فالرضا الذي يدور حوله البحث هو الرضا بمعناه الاشمل والاطول وليس بهذا المعنى الجزئي وان كان هذا الجزء من الاهمية بمكان لانه الباب والمدخل للوصول الى الرضا الكامل وسأعرض هذه التعاريف محاولاً الوصول الى تعريف دقيق في الدلالة على الرضا .

التعريف الاول: قال الامام المحاسبي^(٢) (الرضا سكون القلب تحت مجاري الاحلام) .

(١) للاطلاع على تعريف الرضا لغة راجع لسان العرب حرف الراء باب الياء ١٤/٣٢٣-٣٢٥، ومعجم الوسيط ١/٣٥١ مختار الصحاح ٢٤٦ .

(٢) الحارث المحاسبي وكنيته ابو عبد الله من علماء مشايخ الصوفية وله معرفة بعلوم الظاهر والمعاملات والاشارات وله تصانيف مشهورة وهو استاذ اكثر البغداديين وهو من اهل البصرة توفي ببغداد سنة ٢٤٣هـ .

حلية الاولياء ١٠/٧٣-١٠١، طبقات الشعراني ١/٨٧-٨٨، طبقات الصوفية ص ٥٦ .

9

حديث ذاق الإيمان

التعريف السابع: قال ابن عطاء السكندري^(١) الرضا نظر القلب الى قديم اختيار الله تعالى للعبد وهو ترك السخط^(٢) .

هذه مجموعة من تعاريف علماء التربية للرضا ونلاحظ ان اغلبها ركز على الرضا بالقضاء والقدر وعدم السخط والشك وهذا جزء مهم من الرضا ولكن ليس كل الرضا .

واذا ما انتقلنا الى شراح الحديث فأنا نلاحظ انهم في تعريفهم للرضا قد اعطوه مدلولاً اوسع ليتناسب مع الرضا المقصود اصلاً من سياق الحديث. قال صاحب التحرير رحمه الله (معنى رضيت بالشئ اقنعت به واكتفيت به ولم اطلب معه غيره . فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الاسلام ولم يسلك الا بما يوافق شريعة محمد ﷺ ولا شك ان من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الايمان الى قلبه وذاق طعمه)^(٣) .

وقال القاضي عياض رحمه الله (صح ايمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لان رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته ومخالطة بشاشته لان من رضي امراً سهل عليه)^(٤) .

(١) ابو الفضل محمد بن عطاء الله الاسكندري صاحب الحكم المعروفة باسمه توفي سنة ٧٠٦هـ .

(٢) انظر هذه التعاريف في كل من:

(١) الرسالة القشيرية ص ١٥٣ .

(٢) التعرف على مذهب اهل التصوف ١٢١-١٢٢ .

(٣) نشر المحاسن ص ١٨٧ .

(٤) مدارج السالكين ١٨٢/٢ .

(٣) النووي عن مسلم ٢/٢، تحفة الاحوذى ٣٧٢/٧ .

(٤) نفس المصدرين السابقين .

المبحث الثالث

حديث ذاق الإيمان

الى غيرها من صفات ربوبيته، وكذلك يتضمن الرضا به ربا توحيده وعبادته والانابة اليه والتوكل عليه وخوفه ورجاؤه ومحبته والصبر له وبه والشكر على نعمته والدعوة الى تحقيق عبادته على ارضه والجهاد في سبيل تحقيق ذلك، وكذلك من جملته ان يسخط عبادة ما دونه فمتى سخط العبد عبادة ما سوى الله تعالى من الآلهة الباطلة حبا وخوفا ورجاء وتعظيما واجلالا فقد تحقق الرضا به ربا الذي هو قطب رحي الاسلام .

وهذا جميعا يتضمن شهادة ان لا اله الا الله، وهي تتضمن توحيد الالهية الربوبية وقد تطبعت آيات القرآن بهذه المعاني ومن هذه الآيات .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾^(١) .

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾^(٢) .

وقال ﴿ وَمَا يَكُم مِّنْ تَعْمَلُوا فَمِنَ اللَّهِ ﴾^(٣) .

وقال ﴿ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾^(٤) .

وقال ﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٥) .

وقال ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾^(٦) .

(١) سورة الانبياء اية ٢٥ .

(٢) سورة النحل اية ٣٦ .

(٣) سورة ال عمران اية ١٧٥ .

(٤) المائدة اية ٢٣ .

(٥) سورة فاطر اية ١٥ .

(٦) سورة يونس اية ١٠٧ .

وقال ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ^(١).

وقال ﴿يَكَايُهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلٌ فَأَسْتَجِعُوا لَهُ﴾ ^١ **إِنَّ** **الذَّيْبَ** **تَدْعُونَ** **مِنْ** **دُونِ** **اللَّهِ** **لَنْ** **يَخْلُقُوا** **ذُبَابًا** **وَلَوْ** **اجْتَمَعُوا** **لَهُ** ^٢ **وَلِنْ** **يَسْأَلُهُمُ** **الذُّبَابُ** **شَيْئًا** **لَا** **يَسْتَقِذُّهُ** **مِنْهُ** **ضَعْفُ** **الطَّلِبِ** **وَالْمَطْلُوبِ** ^(٢) .

وقال تعالى ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ * سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِوُكُ * قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخَيِّرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
فَعَدَّاهُمْ ﴿ ٣ ﴾ .

قال الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوي:

وهو (اي المؤمن) راض عن ربه لانه آمن بكماله وجماله . وابقن
بعدله ورحمته واطمئن الى علمه وحكمه، احاط سبحانه بكل شيء علما
واحصى كل شيء عددا . ووسع كل شيء رحمة لم يخلق شيئا لهوا ولم
يترك شيئا سدى . له الملك وله الحمد، نعمه عليه لا تعد، وفضله عليه لا
يحد، فما من نعمة فمن الله، وما اصابه من حسنة فمن الله وما اصابه من
سيئة فمن نفسه يردد هذا دائما .

(١) سورة النحل اية ١٧ .

(٢) سورة الحج اية ٧٣ .

(٣) سورة المؤمنون الآيات ٨٤-٩٠ .

الثناء الذي رده ابونا ابراهيم خليل الرحمن ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ
 * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
 يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١) .

المؤمن موقن اتم الايقان ان تدبير الله له افضل من تدبيره لنفسه
 ورحمته تعالى به اعظم من رحمة ابويه به، ينظر في الانفس والآفاق فيرى
 آثاره بره تعالى ورحمته فيناجي ربه ﴿يَا حَيُّ الْقَيُّومُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 مُغْتَمَرٌ فِي حَقِّكَ الْخَيْرُ الْحَقُّ وَالْعَظِيمُ﴾^(٢) ،
 مغمور في جانب الخير الكلي العام، وهذا الشر الجزئي او الشر الموهوم
 فمعناه التكامل بين اجزاء الوجود .

ان الرضا عن الله وبالله هو اساس كل رضا لان الرضا بالله يوجب
 الرضا بالاسلام لانه دين الله . ويوجب الرضا بمحمد ﷺ لانه رسول الله
 وينتج عنه الرضا عن النفس لانها نعمة من روح الله والرضا عن الكون
 والحياة لانها من مخلوقات الله والرضا بقدره ورزقه^(٣) .

(فائده): ان مما يزيد الرضا بالله ربا هي المعرفة الحقيقية بالله تعالى
 ومعرفة العبد بنفسه . فكلما ازداد العبد معرفة بكمال الله وعظمته وقدرته
 وغناه المطلق وحكمته وعلمه ورحمته ورأفته بعباده وزاد معرفة بعجز نفسه
 وذله وضعفه وفقره واحتياجه وقصوره وجهله . وكيف انه خلق من ماء
 مهين ثم يصبح جيفة قذرة . وانه لولا رحمة الله به لم يكن شيئا، كلما ازداد
 معرفة بذلك ازداد رضا بالله تعالى ربا وطمئن اليه .

(١) سورة الشعراء الآيات ٧٨-٨٢ .

(٢) سورة ال عمران اية ٢٦ .

(٣) الايمان والحياة ص ١٣٦ .

(فانده): ان مما يزيد الرضا بالاسلام ديننا المعرفة الحقيقية الكاملة بهذا الدين العظيم والفهم الصحيح له . ومعرفة خصائصه ومميزاته ومعرفة كماله وخلوه من النقص لانه صادر عن الكامل وكيف ان الحياة لا تصح الا به .

﴿ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾^(١) .

الفرع الثالث: الرضا بمحمد ﷺ نبيا ورسولا:

ومعناه كمال الانقياد له والتسليم المطلق اليه بحيث يكون اولى من نفسه فلا يتلقى الهدى الا من مواقع كلماته ولا يحاكم الا اليه ولا يحكم عليه غيره ولا يرضى بحكم غيره البتة وان يحبه اكثر من النفس والمال والوالد والناس اجمعين . والرضا به قائدا واماما وموجها والدعوة الى سنته وهديه . وهذا ما تتضمنه شهادة ان محمدا رسول الله . وبهذا نطق آيات الذكر الحكيم ومن هذه الآيات:

قوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٢) .

وقوله ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣) .

وقوله ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٤) .

وقوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا تَنبَهُنَّكَ عَنْهُ فَانْتَبِهْ إِنَّهُنَّ لَا يَرْجِعْنَ إِلَيْكَ بِأَرْسَالِكَ إِلَّا لِيُخْذَلَ لَكُمُ الْيَوْمَ فَيُنْصَبَ عَلَيْكُمُ الْحَبْلُ وَتُؤْتَوْنَ بِهِ ظُفُرًا وَمَا تَتَّخِذُونَ مِنْ عُقْدِهِ إِلَّا أَنْفُسُكُمْ وَأَنْتُمُ الْمُذْطَبَرُونَ ﴾^(٥) .

(١) سورة المؤمنون الآية ٧١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٢ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٣١ .

(٤) سورة النور الآية ٥١ .

(٥) سورة الحشر الآية ٧ .

المبحث الرابع درجات الرضا

الدرجة الاولى: رضا العامة وهذا الرضا هو مقتضى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ﷺ . التي هي اساس دخول الاسلام والخروج من دائرة الشرك الاكبر وهو ما عليه عامة المسلمين حيث انهم يفردون الله عز وجل بالعبادة ولا يشركون معه الهة اخرى ويقرون بالاسلام وبنبوة سيدنا محمد ﷺ .

ومن علامة اصحاب هذه الدرجة انهم يؤدون الفرائض والعبادات مجردة من الخشوع لله تعالى وخالية من علامات الحب الخالص لله تعالى مع الانشغال الكامل بالدنيا والركون اليها وعدم الاهتمام بالآخرة وكذلك عدم الاهتمام بالدعوة الى الله تعالى .

الدرجة الثانية: رضا الخاصة وهو الرضا عن الله تعالى وهذه الدرجة تعني اجتماع شروط الرضا التي قال ابن قيم الجوزية عنها .

(ومن جملة حصول هذه الدرجة من الرضا موقفا على كون المريض به ربا سبحانه وتعالى احب الى العبد من كل شيء واولى الاشياء بالتعظيم واحق الاشياء بالطاعة ومعلوم ان هذا يجمع قواعد العبودية وتنظيم فروعها وشعبها)^(١)، ومن علامات اهل هذه الدرجة .

(١) كثرة ذكر الله سبحانه وتعالى .

(٢) التقرب الى الله تعالى بالعبادات المختلفة كالنوافل وقراءة القرآن وكثرة الصدقة .

(٣) حمل الناس الى النفرة الى الله تعالى بعبادته والتقرب منه وهدايتهم اليه .

(١) مدارج السالكين ١٩٤/٢ .

(١١) شعور المسلم وهو يحمل دعوة الله تعالى بتفضل الله عليه في حملها رغم تعرضه لكل صنوف العذاب والفتن اثناء حياته ولنا في رسول الله ﷺ اسوة حسنة .

قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ ﴾^(١) .

المبحث الخامس شروط الرضا

للرضا شروط اساسية لابد من توفرها حتى يحصل المؤمن على مقام الرضا هي :

الشرط الاول: ان يكون الله عز وجل احب الاشياء الى العبد، ويشترط في محبة الله عز وجل حتى تكون كاملة، ان تسبق كل المحبوبات الاخرى وان تقهر كل المحبوبات وان تكون تلك المحبوبات تابعة لمحبة الله تعالى . فمعنى ذلك افراد الله عز وجل بهذا الحب فيكون حب الله تعالى هو الاساس لكل حب قال تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواها وان يحب المرء لا يحبه الا الله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار)^(٢) فنلاحظ ان هذه الثلاثة الموصلة الى حلاوة الايمان تعتمد على حب الله سبحانه وتعالى قال عمرو بن عثمان المكي (اعلن ان المحبة داخلية في الرضا ولا محبة الا بالرضا ولا رضا الا بمحبة، الا ترى انك لا تحب الا ما رضيت وارتضيت ولا ترضى الا ما احببت)^(٣) .

(١) سورة النساء الاية ١١٣ .

(٢) سبق تخريجه ص ٥ .

(٣) طبقات الصوفية ص ٢٠٤ .

الشرط الثاني: ان يكون الله سبحانه وتعالى اولى الاشياء بالتعظيم وهذا يستلزم ان يرى ان كل ما سوى الله عز وجل زائل وان تسيطر هذه العظمة على القلب والشعور فالعظمة والكبرياء لا تكون الا الله سبحانه وتعالى وحده لان بيده كل شيء وهو خالق كل شيء فالآجال والارزاق بيد الله تعالى وكل ما سوى الله تعالى لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا . افلا يستحق ان يعظم فال عظيم الا من عظمة الله ولا عزيز الا من اعزه الله .

قال تعالى ﴿ اٰبْتَغُوْا عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَاِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا ﴾ ^(١) .

وقال ﴿ وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُوْلِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ وَلَكِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴾ ^(٢) .

وقال ﴿ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوْا لَهُ ۚ اِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَنْ يَخْلُقُوْا ذُبَابًا وَّلَوْ اٰجْتَمَعُوْا لَهُ ۚ وَاِنْ يَّسْلُبُوْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئُوْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوْبُ ﴾ ^(٣) .

وقال تعالى ﴿ اِنَّ الَّذِيْنَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَا يَمْلِكُوْنَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوْا عِنْدَ اللّٰهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوْهُ وَاَشْكُرُوْا لَهُ ۖ اِلَيْهِ ^(٤) ﴾ .

الشرط الثالث: ان يرى ان الله عز وجل هو الاحق بالطاعة وان طاعته سابقة لكل طاعة وفوق كل طاعة وان طاعة غيره تابعة لطاعته وهذا من مستلزمات افراد الله عز وجل بالتعظيم والحب وذلك لان من عظم واحب شيئا عليه ان يطيعه، فقد فرق الله تعالى بين الخلق الذي هو التعظيم وبين

(١) سورة النساء الاية ١٣٩ .

(٢) سورة المنافقين الاية ٨ .

(٣) سورة الحج الاية ٧٣ .

(٤) سورة العنكبوت الاية ١٧ .

الطاعة فقال جل علاه ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

فاذا رأى العبد ان الله عز وجل احق الاشياء بالطاعة فانه لا يطيع الا من امره الله بطاعته فال يطيع هواه ولا يطيع الشيطان ولا حزبه ولا اعوانه .
الشرط الرابع: ان لا يعترض على احكام الله عز وجل وهذا يستلزم الانقياد والاستسلام الكامل لاحكام الله ومقاديره وعدم التسخط وذلك لان الاعتراض والتسخط ينفيان الرضا .

سئل الحارث المحاسبي من اقهر الناس لنفسه ؟ فقال:
 الراضي بالمقدور^(٢) .

فقال ابو عثمان النيسابوري:
 التفويض رد ما جهلت علمه الى عالمه، والتفويض مقدمة الرضا،
 والرضا باب الله الاعظم^(٣) .

المبحث السادس اسباب حصول الرضا

ان اهم سبب لحصول الرضا هو ان يقيم المسلم نفسه على ما يرضي الله سبحانه وتعالى وما يرضيه انما هو اتيان المأمور والانتها عن المنهي .
 وان يسلم ولا يعترض على احكام الله ومقاديره وان يسعى لتحقيق امر الله على ارضه بالدعوة والجهاد في سبيل الله فإذا ما فعل ذلك فقد حصل له الرضا . قال ابن القيم في مدارج السالكين .

(١) سورة غافر ٦٤ .

(٢) صفات الصوفية، ص ٦ .

(٣) طبقات الصوفية/ص ١٧٤ .

كيفية الحصول على الرضا هو ان يلزم ما جعل الله رضاه فيه فانه يوصله الى مقام الرضا لابد^(١) .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله (احق الناس بالرضا عن الله، اهل المعرفة بالله عز وجل)^(٢)

قال الجنيد رحمه الله وهو يوضح كيفية حصول الرضا (هو صحة العلم الواصل الى القلب فاذا باشر القلب حقيقة العلم اداه الى الرضا)^(٣) .

قال الزبيدي (فاعلم ان العلم الذي يورث حل الرضا هو العلم بكمال صفات الله تعالى وجمالها وجلالها فيما حكم به في الازل في شقاء واسعاد وتقريب وابعاد وشدة وارخاء وان ذلك على اكمل الحالات وارفع الدرجات، وهذا العلم بعينه يوجب التسليم والتفويض، الى ان قال - واعتقاد هذا العلم واجب لانه من الايمان بالله يراد لذاته ولغيره اما كونه مرادا لذاته فلأنه معرفة بالله مقصودة في نفسها واما كونه يراد لغيره فلأنه يذهب عن القلب الصم والغم والحزن والسخط ويجلب اضدادها من الفرح والسرور والاستبشار ويستفيد بذلك عد الانفاس مع الله والسلامة من اضاعه الاوقات)^(٤) .

وقيل ليحيى بن معاذ متى يبلغ العبد الى مقام الرضا ؟ فقال اذا قام نفسه على اربعة اصول فيما يعامل به ربه .

فيقول ان اعطيتني قبلت وان منعتني رضيت وان تركتني عبت وان دعوتني اجبت^(٥) .

(١) مدارج السالكين ١٨١/٢ .

(٢) طبقات الصوفية ص ١٠ .

(٣) نشر المحاسن ص ١٧٨ .

(٤) اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين ٥٠٩/٢ .

(٥) المصدر السابق .

ومما قيل في تفسير قول الله تعالى ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، بما كان سبق لهم من الله تعالى من العناية والتوفيق ورضوا عنه بما من الله عليهم بمتابعتهم لرسوله ﷺ وقبول ما جاء به^(١).

قال حاتم الأصم رحمه الله: (ومن أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلب في رضا الله . أولها: الثقة بالله ثم التوكل ثم الاخلاص ثم المعرفة والأشياء كلها تتم بالمعرفة)^(٢).

ومما يستأنس به من أحوال الراضين ما يلي:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أبالي على أي حال أصبحت أو على ما أحب، أو على ما أكره لأنني لا أدري الخير فيما أحب أو في ما أكره^(٣).

وقال علي رضي الله عنه: من رضي بقضاء الله عز وجل جرى عليه وكان له اجر ومن لم يرض بقضاء الله عز وجل عليه وحبط عمله^(٤).

ويروى ان عمران بن حصين رضي الله عنه اشتكى بطنه سنين كثيرة فدخلوا عليه يعودونه فقالوا له: منعنا من الدخول عليك طول شكايتك فقال لا تفعلوا ذلك فأنا أحبه الى ربي أحبه الي^(٥).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: الراضي لا يتمنى فوق منزلته^(٦).

وقال ابو عثمان النيسابوري: منذ اربعين سنة ما اقامني الله عز وجل في حال فكرهته ولا ثقلني الى غيره فسخطته^(٧).

(١) الترغيب والترهيب ابي الفضل الجوزي الاصفهاني ٥٨٦/٢ .

(٢) طبقات الصوفية ص ٩٤ .

(٣) كنز العمال ١٤٥/٢ .

(٤) كنز العمال ١٤٥/٢ .

(٥) الترغيب والترهيب لابي الفضل الجوزي الاصفهاني ٥٨٦/٢ .

(٦) نفس المصدر .

(٧) نفس المصدر .

الثالثة: فيقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل الهدية والتسليم وذلك قوله تعالى ﴿وَرِضْوَنٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ اي من النعيم الذين هم فيه غهذا اكبر رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا الله^(١) .
وفي الاثر (ومن رضي عن الله فله الرضا)^(٢) .

ثانيا: دخول الجنة فأن العبد اذا رضى عن الله سبحانه وتعالى ادخله الله الجنة قال رسول الله ﷺ (طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به)^(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام (ومن رضي بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبيا وله الجنة)^(٤) .

ثالثا: الفرح والسرور واليقين والسعادة: ان العبد اذا رضى عن الله تعالى رزقه الله الفرح والسرور واليقين والسكينة وجبته السخط والشك والحزن في هذه الدنيا .

عن ابي مسعود ﷺ قال رسول الله ﷺ (ان الله عز وجل جعل الفرح والسرور في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في السخط والشك)^(٥)، وفي وفي حديث اخر (من سعادة المرء استخارته ربه ورضاه بما قضى وفي شقاء المرء تركه الاستخارة وعدم رضاه بعد القضاء)^(٦) .

(١) احياء علوم الدين ٣/٣١٦ .

(٢) ابن عدي ٦/٢٤٢٣ .

(٣) الترمذي رقم الحديث ٢٣٤٩ .

(٤) الحاكم ٢/١٣ .

(٥) الطبراني، الجامع الصغير ١/٣٣٦ .

(٦) البراز وفي معناه عند احمد والترمذي .

اهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- (١) احياء علوم الدين، للامام ابي حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ / طبعة دار القلم بيروت .
- (٢) . الايمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ط ٣، ١٩٧٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت .
- (٣) تحفة الاحوذى، للامام ابي العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ت ١٣٥٣هـ نشر محمد عبد المحسن الكنبي، القاهرة .
- (٤) التصرف لمذهب اهل التصوف، ابو بكر محمد الكلابوي، تحقيق محمود امين النوروي، ط ٣، ١٩٨٠م، مكتب الكليات الازهرية .
- (٥) الترغيب والترهيب، للامام الحافظ ابي القاسم اسماعيل بن محمد ابن الفضل الجوزي الاصبهاني تخرج محمد السعيد بن بسيوني زغلول مراجعة محمود ابراهيم زايد، مؤسسة الخدمات الطباعة، بيروت .
- (٦) الترغيب والترهيب، للمنذري، مطبعة السعادة، ١٣٧٩هـ .
- (٧) جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى: ابن يحيى محمد بن عاصم الغرناطي ٨٥٧هـ، تحقيق صلاح جرار، دار بشير، عمان الاردن .
- (٨) الرسالة القشيرية في علم التصوف، عبد الكريم القشيري ت ٤٦٥هـ مطبعة اوفيس منير - بغداد .
- (٩) سنن الترمذي، معها تحفة الاحوذى .
- (١٠) صحيح الامام مسلم مع شرح النووي، المطبعة المصرية ١٣٤٧هـ .
- (١١) في ظلال القرآن، الشهير سيد قطب رحمه الله تعالى ط ٧، احياء التراث العربي، بيروت .
- (١٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، دار المعرفة، بيروت .

-
- A decorative horizontal line consisting of five stylized floral or sunburst motifs arranged in a row.

